لاعدائه فقد اعظم الفرية على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى خلفائه الراشدين من جعل
المدح لقبا والذم لقبا ولم يفرق بينهما لان من سنة العرب ولغاتها وما لم تزل تتعامل به في خطابها
ان كل شيء من النعوت والصفات الصالحات الزكية والخير والفضل والتقى والورع والخشوع
والتواضع واشباه ذلك تسميه مدحا وزينا وكل شيء من الاعمال القبيحة والشر والاذى والردى
والخنى والفسوق والظلم واشباه ذلك تسميه ذما وعيبا وشينا وتفرق بين المدح والذم بان
تثبت كل ما كان عندها من المدح الى الاسمية فتقول هذه اسمية لان الاسمية غاية المدح عندها
واعلاها وارفعها درجة وتثبت الذم وكل ما كان عندها من جنسه الى اللقب وهو عندها غاية
الذم والعيب واعلى درجات العيب والذم واللقب فكان الفرق عند العرب في المدح والذم بهذا
تجعل غاية المدح والنهاية في الوصف الاسمية وتجعل غاية الذم والنهاية في العيب اللقب فهذا
كان الفرق بين المدح والذم عند العرب وبذلك خاطبها الله تعالى فعقلت عنه ما اراد وكذلك
كان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدح ابي بكر بالصديق وعمر بالفاروق وعثمان بذي النورين رضوان الله
تعالى عليهم انه بالغ مدحهم وشرفهم وجعل ذلك اسمية لهم وكذلك الخلفاء من ولد العباس اهتدوا بنبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم فسلكوا مسلك الخلفاء الراشدين المهديين واخذوا على مثالهم وتشبهوا بهم
ورغبوا في سنتهم واتباع مناهجهم ولم يرغبوا في سنة من تقدمهم من خلفاء بني امية الذين رغبوا
عن سنة الخلفاء الراشدين المهديين وعن مدحتهم فجعلت الرحمة للخلفاء من بني العباس بحكم الله
عز وجل وتمت النعمة عليهم وتكاملت الصفات الجميلة فيهم وامير المؤمنين اطال الله بقاءه يعلم ويشهد
بذلك وبصحة ما اقول اذ كان بيت اللغة واعلم خلق الله بقول العرب وانه ليعلم ايده الله تعالى
ان قول المامون اعلى واجل في قول الخليفة والملك اذ كانت هذه الصفات قد وقعت على
غير مستحقها ممن تقلد هذا الامر من قبل ولد العباس فان الله تعالى شرف ولد العباس بان
شرع هذه الفضيلة التي هي غاية المدح والنهاية عند العرب وجعلها باقية فيهم يتوارثونها
واحد عن واحد وهي الاسمية فقال بشر ليس كلما تحكيه عن العرب تقبله منك لانك تحكي
شيئا كثيرا ليس هو من قولها فان كان هذا كما تزعم من قولها فاخبرنا بشيء من قولها
نستدل به على صدق قولك قال عبد العزيز كيف يتهيأ لي الرد على العرب وبيت اللغة
ومعقلها يسمعني فافهم واسمع ما سألت عنه ان العرب تقول اسم واسمية ولقب
فاما الاسم فعبد الله ومحمد وزيد وبكر وما اشبهه واما الاسمية فما كان مدحا مثل قولهم المهدي

والرشيد

والرشيد ومثل قولهم البطال والكامل ونحو ذلك واما اللقب فمثل قولهم راس الكلب ووجه
النعجة وذنب العنز واشباه ذلك مما يغضب من نسب اليه وما هو ذم وهو الذي نهى الله
تعالى عنه بقوله ولا تنابزوا بالالقاب فهذا الذي تتعارفه العرب في لغاتها وكلامها
فقال بشر اوجدنا من كلامها شيئا امدحت به انسانا او ذممته او غيرت ذمه بمدح
نقلته اليه قال عبد العزيز فقلت قد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيد كان لقبه زيد
الخيل وكان يكره ذلك اللقب فنقله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدح فقال فجعله زيد الخير
فصار بهذا مدح حاله وازال عنه اللقب الذي كان يغضبه وكان بنو الانبا بن شماس
يلقبون ببني انف الناقة فيغضبهم ذلك ويبلغ منهم فمدحهم الحطيئة الشاعر فقال

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوي بانف الناقة الذنبا

فمدحهم وصيره اسمية لهم وازال عنهم اللقب الذي كان يغضبهم فصار مديحا لهم حتى ان
اهلهم يتمدحون بذلك وازال عنهم اللقب وهذا اكثر موجود في كلام العرب وخطابها
واشعارها وانما يجب ان يطالب باقامة الدليل والشاهد على ما يقع فيه خلاف فاما
ما لا اختلاف فيه فما مطالبتي باقامة الدليل عليه وامير المؤمنين يعلم ويشهد لي بصحة قولي
اذ كان بيت اللغة فقال المامون قد احسنت يا عبد العزيز في الاعتذار واقامة الحجة
وقد صحت عما كان منك وما قلت الا ما تتعارفه العرب وتتعامل به في خطابها ولغاتها
قال عبد العزيز ثم اقبل المامون على بشر فقال له الخطأ لك الزم منه لعبد العزيز في كل حال ولكن
ارجع الى قلة معرفتك باللغة واختلاطك بالعوام ومذهبك في كلامك وكثرة خطبك ورد الملك
فانت تخطي من حيث لا تدري ومن حيث ترى انك تصيب وقد صحت عندك ايضا كما صحت
عن عبد العزيز ثم اقبل المامون علي فقال يا عبد العزيز تلاف ما كان منك مما تستقبل او لا
تدع احدا ممن كتب هذا الكتاب عنك الا طالبته برده اليك حتى لا يبقى عند احد من نسخة
شيئا يخرجه بعد اليوم ولا يذكر شيئا مما كان فانه متى اتصل بي ان عند احد منه نسخة او بلغني
ان احدا اخرج هذا الكتاب لحقك مني ما تكره ولم اقارك على ذلك بعد الامر والنهي الذي كان
قد شافهتك به قال عبد العزيز فقلت له يا امير المؤمنين اطال الله بقاءك اما انه في خاصة نفسي
قد سمعت ما امر به امير المؤمنين وما نهى عنه وقد وجب علي قبول امره والانتهاء عما نهاني
عنه فلا اذكر شيئا مما جرى في المجلس ولا مما يجري في مجلس بعد هذا الوقت ولا اكتبه لاحد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)